دلالة الأخلاق على وجود الله
(دراسة تحليلية ونقدية)

دكتورة/ ندى بنت حمزة بن عبده خياط
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة طيبة

الملخص:

موضوع البحث: دلالة الأخلاق على وجود الله (دراسة تحليلية ونقدية).

أهداف البحث: بيان دلالة الأخلاق على وجود الله -تعالى-، والكشف عن المشكلة الأخلاقية في خطابات الملاحدة.

منهج البحث: سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي والمنهج النقدي.

أهم النتائج: أن الاستدلال بالأخلاق والقيم على وجود الله -تعالى- هو من أهم الأدلة العقلية التي يحاج بها المنكرين لوجوده سبحانه، وأن الخطابات الإلحادية المعاصرة قد اضطربت في مواقفها في تفسير وجود الأخلاق، نتيجة فساد تصورها للكون وتفسيرها لأسباب نشأته، ولا يمكنها بناء وتأسيس القيم الأخلاقية مع إنكارها لوجود الله -سبحانه وتعالى- ربًّا خالقاً حكيماً عليماً.

أهم التوصيات: ضرورة استخدام المسلك العقلي في الاستدلال على وجود الله وبناء اليقين في نفوس النشء لا سيما في زمن انتشار الشبهات وتداول كلام أهل الإلحاد في الإعلام الحديث المفتوح.

الكلمات المفتاحية: وجود الله/ أساس الأخلاق/ الأخلاق المطلقة/ الأخلاق الموضوعية/ فطرية الأخلاق /أخلاق الملاحدة.

outline

Subject: Moral signs for the existence of Allah(Analytical and critical study)

research objectives: explain the signs of morality on the existence of Allah almighty, and the disclosure of the moral problem in the speeches of the atheist.

Research Methodology: In this research, I have followed the analytical and critical approaches.

The most important results: That the inference of morality and values on the existence of Allah almighty is one of the most important mental evidence sought by the deniers of his existence, and that contemporary atheistic discourses have been disturbed in their positions in explaining the existence of morality, as a result of the corruption of its perception of the universe and its interpretation of the causes of its origin, and cannot build and establish values Morality, while denying the existence of Allah almighty, is a wise and informed Creator.

The most important recommendations: The need to use the mental behavior to infer the existence of Allah and build certainty in the hearts of young people, especially at a time when suspicions spread and the words of atheism circulated in the modern open media.

key words: The existence of Allah/the basis of morality/absolute morality/objective morality/innate morality/morality of the atheist**.**

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

إن قضية الاستدلال على وجود الله -سبحانه وتعالى- وأنه الرب الذي لا رب سواه وأنه هو المعبود الذي استحق العبادة التي يجب ألا تصرف إلا له، هو مطلب ضروري لتحقيق التوحيد الذي هو أساس العلوم وأصلها وأجلّها.

وقد فطر الله -تبارك وتعالى- الخلق كلهم على قضية معرفته والاستسلام لأمره، وأن معرفته -سبحانه- هي أمر ضروري فطري شديد العمق في وجدان الإنسان وفي عقله.

وبهذه المعرفة تهدأ نفسه وتسكن وتطمئن، ويكون لحياته معنًى.

وقد تحدث شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن فطرية معرفته -سبحانه- وضرورة ذلك فقال: "أصل العلم الإلهي فطري ضروري، وأنه أشد رسوخاً في النفوس من مبدأ العلم الرياضي؛ كقولنا: إن الواحد نصف الاثنين، ومبدأ العلم الطبيعي؛ كقولنا: إن الجسم لا يكون في مكانين؛ لأن هذه المعارف أسماء قد تعرض عنها أكثر الفطر، وأما العلم الإلهي فما يتصور أن تعرض عنه فطرة"[(١)].

ولكن هذه الفطرة قد ترد عليها شبهات وإشكالات وصوارف عديدة خصوصاً في زماننا المعاصر، الذي تفشى فيه الإلحاد وانتشرت فيه الشبهات الفكرية الجسيمة التي أضعفت نداء الفطرة وأبهتت أنوارها في بعض النفوس.

لذا كان من أوجب الواجبات على المتخصصين في البحث العقدي المعاصر إرجاع الإنسان ورده إلى نداءات هذه الفطرة ودعوته للاستجابة إلى موجباتها بالأدلة والبراهين العقلية القاطعة، وبيان تلك الأدلة في قضية الاستدلال على وجود الله -تعالى-.

إن هذه الأدلة التي تساق لإثبات وجوده -سبحانه- أدلة كثيرة وكافية -بفضل الله تعالى- ويجب إدراكها إدراكاً تامًّا والإعلان عنها بوضوح في تقرير قضايا المعتقد.

---

(١)مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٥/٢).

وكان من بين هذه الأدلة المهمة "دلالة الأخلاق على وجود الله"، فوجود الأخلاق وفطريتها في النفوس وتعاليها عن العالم المادي، دليل على وجود الله -سبحانه وتعالى-، ومن دون إثبات وجوده لا يكون للأخلاق وجود موضوعي أصلاً، ويمتنع على الإنسان بناء رؤية فكرية صلبة ومتماسكة.

وقد فشلت كل محاولات الخطاب الإلحادي والتي يسعى من خلالها إلى تأسيس الأخلاق وتفسير وجودها بعيداً عن وجود الله، فهي محاولات تتم على أرض رخوة ومنطلقات فلسفية عدمية يستنجد بها هذا الخطاب البائس ليزاحم الرؤى والتصورات الدينية.

واستشعاراً لواجبي العلمي وأهمية الاستدلال العقلي على وجود الله، وأهمية الدليل الأخلاقي ومكانة هذا الدليل وقوته في الاستدلال عليه -سبحانه-، جاءت هذه الأوراق التي أرجو أن تكون فاتحة أبحاث أخرى في موضوع يعاني من قلة الكتابة فيه.

ولأهمية هذا الموضوع الذي لم يفرد بدراسة مستقلة -بحسب علمي- رغبت في الكتابة فيه ووسمته بـــ: "**دلالة الأخلاق على وجود الله .. دراسة تحليلية ونقدية**".

وقد حاولت جاهدة تأصيل أفكاره وربطها بواقع الخطاب الإلحادي المعاصر، ملتزمة بالضوابط والقواعد المتبعة في كتابة البحوث العلمية، من عزو الآيات، وتخريج الأحاديث، وعزو الأقوال إلى أصحابها، وتوثيق الأقوال من مصادرها، والتعريف بالمذاهب والمصطلحات، وترجمة الأعلام إلا ما ندر، مبتعدة في كل ذلك عن الحشو وملتزمة بالاختصار غير المخلّ -بإذن الله-.

وانتظم البحث في المباحث الآتية:

- **مقدمة، ثم تمهيد، وثلاثة مباحث**، هي:
- **المبحث الأول:** دلالة القيم الأخلاقية على وجود الله.
- **المبحث الثاني**: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الغربي.
- **المبحث الثالث**: أخلاق الملاحدة.
- **ثم خاتمة وفهرس للمراجع وفهرس للموضوعات**.

هذا، وأحمد الله على تيسيره وتوفيقه وأشكره على ذلك فهو أهل للثناء والحمد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

جاءت الرسالات السماوية داعية في جوهرها إلى الإيمان بالله وحده وبيان شريعته للناس ودعوتهم لتحقيق القيم والفضائل الأخلاقية، ووازنت في الجمع بين هذه الأمور في دعوتها وخطابها للمكلفين لتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية لهم. وسارت في تحقيق الكمال الإنساني المنشود وتمييز هذا المخلوق عن سائر الموجودات سيراً حثيثاً بإقرار القيم الأخلاقية وفق المنهج الرباني الذي به يتحقق السمو والكمال الإنساني ويصل الإنسان إلى أعلى درجات الفضيلة والترفع عن الرذائل، وتسامت في بيان هذه الأخلاق والتأكيد عليها وإقرارها متخطية حدود الزمان والمكان، وأكدت جميع الرسالات السماوية على ضرورة إقامة المجتمعات الانسانية على قيم أخلاقية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، فالقيم الأخلاقية هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات وتبنى بها الأمم.

ونادت كل واحدة من هذه الرسالات بمبادئ وقيم يكمل بعضها بعضًا إلى أن وصلت إلى الكمال والتمام مع بعثة الرسول الأمين محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- ليشيد هذا الصرح القيمي والأخلاقي ويتمم البناء الذي بنته تلك الرسالات السابقة.

وكان تعزيز القيم الأخلاقية من مقاصد بعثته -صلى الله عليه وسلم- وأهداف الرسالة الاسلامية التي جاء بها، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: **«إنما بعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاقِ»**[(١)]، وربط القرآن الكريم قضية الأخلاق بالمعتقد، فقال -عزّ شأنه-: **(l H G F E D C B) [التوبة:١١٩]** ، وقال: **(p x w v u t s r q z | { ~ ٱلۡمُحۡسِنِينَ) [البقرة: ١٩٥]**.

فالقيم الأخلاقية لها أهمية عظمى في حياة الانسان فبها يسعد في الدنيا وعليها تكون نجاته في الآخرة، فـ **«أحَبُّ عباد اللهِ إلى اللهِ أحسَنُهُمْ خُلُقًا»**[(٢)]، و **«لَمْ يَكُنِ النبيُّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- فَاحشًا ولَا مُتَفَحِّشًا، وكانَ يقولُ: إنَّ مِن خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»**[(٣)]، و **«مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»**[(١)]، و **«إِنَّ الرَجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ»**[(٢)].

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم:٨٥٩٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٢٣٤٩.

(٢)أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤١/٤) وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٧): رجاله رجال الصحيح.

(٣)رواه البخاري برقم: ٣٥٥٩، ومسلم برقم: ٢٣٢١.

وعبّر الإمام ابن القيم -رحمه الله- عن مركزية الأخلاق في الخطاب الشرعي بقوله: "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين" [٣].

وقد استفاضت النصوص الشرعية وفصّلت في ذكر المبادئ والقوانين الأخلاقية الرشيدة التي بها يسمو الإنسان ويرتقي كالأمر بالصدق والوفاء والإحسان والصدقة والتعاون والوفاء والتواضع والصبر والقوة وغيرها من أخلاق فاضلة نبيلة، ونهت النصوص الشرعية عن الظلم والكذب والفحشاء والغدر والقسوة والبخل والغلظة والسرقة وغيرها من أخلاق قبيحة ذميمة.

ولو بحثنا في معنى القيم الأخلاقية لوجدنا أن معناها هو: (المعايير والموازين الموجهة لحركة الإنسان، والضابطة والحاكمة للفعل الحضاري، بكل تنوعاته وامتداداته، وفق رؤية الاسلام ومقاصده)[٤].

والرؤية الإسلامية تعتمد على نصوص الوحيين الذين يمثلان المرجعية التأسيسية في بناء المنظومة الأخلاقية، والذين تدور بداخلهما جميع الفضائل التي يجب فعلها والرذائل التي يجب تركها والنهي عنها.

فتحقيق مكارم الأخلاق والتحلي بالفضائل هو مطلب شرعي حتى يكمل إيمان الإنسان ويثقل ميزان حسناته يوم القيامة.

وتتجلى هذه الأهمية والمكانة العالية للقيم الأخلاقية في الإسلام في أنها تقدم حلولاً مثلى وتعالج مشكلات تحول بين الإنسان وسعادته، فأكد الإسلام بدعوته الجلية على جانب مراعاة حقوق الإنسان وحماية الانسان بالدعوة للمحافظة على مكارم الأخلاق وعدم انتهاك حقوقه، فأمر الإسلام بحماية الحقوق والمحافظة عليها، وشرع لذلك الحدود والعقوبات الزاجرة لكل من يحاول الاعتداء عليها.

بل إن الله -سبحانه وتعالى- جعل القوانين الأخلاقية سنناً كونية، فكما أن الكون محكوم بقوانين وسنن إلهية ، فكذلك حياة الناس محكومة بقوانين وسنن أخلاقية في تعاملاتهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض وفي تفاعلاتهم مع سائر الموجودات (9 8 7 :)

---

(١)رواه الترمذي برقم: ٢٠٠٢ وقال حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٥٦٢٨.

(٢)أخرجه الحاكم في المستدرك (١٢٨/٢) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم:١٦٢٠.

(٣)مدارج السالكين، ابن القيم، (٣٠٧/٢).

(٤)القيم الحضارية في الإسلام، محمد عبد الفتاح الخطيب، ص (٤٨).

[سورة يوسف:٢٣] (p o n m) [سورة يونس: ١٧] ، (6 7 8 9) [الأحزاب:٢٤] ، و **«مَن لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»**[١]، **«ويُعْطِي علَى الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي علَى العُنْفِ»**[٢]، **«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**[٣] والشارع الحكيم هو الذي يعطي الحكم النهائي للعمل الأخلاقي في نظام وقوانين كونية معيارية منضبطة ودقيقة.

وعندما يأمر الشرع بالأخلاق الفاضلة فهو يأمر بها لحسنها ولأنها تحقق سعادة الإنسان، ويضيف لها حسناً آخر -إضافة إلى حسنها الذاتي- بجعلها أوامر يجب التحلي بها والاتصاف بمحاسنها، فيجازي عليها.

وكذلك عندما ينهى الشارع الحكيم عن رذائل الأخلاق فإنه ينهى عنها لقبحها، وهو أمر ذاتي يختص بها، وبنهيه عن ارتكابها يضيف لها قبحاً آخراً إن اجترأ الإنسان عليها فيعاقب عليها.

وطبيعة خلق الإنسان تقتضي أن يكون صاحب قدرة وإرادة، فهو مسؤول عن اختياراته الأخلاقية وأفعاله وتصرفاته، ومحاسب عليها بحسب التصور الإسلامي.

فالإيمان هو القاعدة العريضة المؤسسة للقيم والمبادئ؛ إذ أنه يؤسس لقيمة الواجب والمسؤولية ويعززها في نفس المؤمن وهذا يعني أنه يمتلك الحرية والاختيار (8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H) [سورة الشمس: ٧-١٠].

ولهذا اتصفت رؤية المؤمن بالاتساق والانضباط والاتزان المسؤول.

بل يجد المؤمن أيضاً أن القيم الأخلاقية هي فطرة أودعها الله في نفسه وخلقه عليها، فيستحسن المبادئ الحسنة ويستقبح المبادئ السيئة، ويجد نفسه ملزوماً بالأخذ بها، وذلك لأنه يجد في نفسه بالضرورة أنه محكوم بمنظومة من الأخلاق التي تسير حياته وتقوم عليها معاملاته ويجد الانسان أن هذه الأخلاق والقيم هي مطلقة متجاوزة لوجوده المادي ومتجذرة في كيانه ووجدانه.

---

(١)رواه البخاري برقم: ٥٩٩٧.

(٢)رواه البخاري برقم: ٦٩٢٧ ومسلم برقم: ٢٥٩٣.

(٣)رواه مسلم برقم: ٢٦٩٩.

ولا يمكن أن تقوم تلك الأخلاق وتتحقق تلك القيم الإنسانية إلا على منظومة الإيمان بالله -تعالى- وتحقيق عبادته، وهذا المعنى سيجلّيه البحث في الأوراق القادمة -بحول الله وقوته- بمزيد من البيان والإيضاح في الفصول التالية.

المبحث الأول: دلالة القيم الأخلاقية على وجود الله

إن الاستدلال على وجود الحق -جل في علاه- يكون بالأدلة العقلية والأدلة الشرعية العديدة التي استدل بها –سبحانه- على وجوده في آيات الكون الباهرة وفي خلق الإنسان المبدع وفي سائر المخلوقات.

وإن كل شيء في هذا الوجود يدل على وجوده -سبحانه- إذ ما من شيء من مخلوقاته إلا وهو أثر من آثار قدرته –جلّ وعلا- فلا وجود إلا لخالق ومخلوق، والمخلوق يدل فطرة وبداهة على وجود الخالق.

ويمكننا الاستدلال على وجود الله سبحانه وتعالى بالتأمل في طبيعة خلق الإنسان وصنعه على هيئة تقتضي وجود القيم الأخلاقية فيه، مما يدل ضرورة على وجوده -سبحانه وتعالى- كدلالة باقي الأدلة الأخرى الدالة على وجوده كدليل الخلق ودليل العناية والإتقان.

فوجود العدل والصدق والأمانة والإحسان وغيرها من أخلاق وقيم فاضلة نبيلة يدل على وجوده سبحانه وتعالى **من جهتين، هما:**

الأولى: فطرية الأخلاق.

والثانية: اتسام الأخلاق بأنها موضوعية ومطلقة.

أولاً: فطرية الأخلاق:

إن فطرية الأخلاق والقيم الإنسانية أساس مهم لمسألة الاستدلال العقلي على وجود الله بحالة الإنسان وما فيها من معاني مركوزة في أعماق الفطر.

والفطرة التي خلق الله الناس عليها هي قوة في النفس تقتضي الحق وإرادته وطلبه، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه (درء التعارض) لهذا المعنى قائلاً إن: "في فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة النفع"[(١)].

ومن الأدلة الشرعية على فطرية الأخلاق قوله -تعالى-: **(R Q P Z Y X W V U T S) [سورة الأعراف:١٥٧].**

فقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- في بيان وجه دلالة هذه الآية على فطرية الأخلاق وذاتيتها قائلاً: "دلّت الآية على أنه أمرهم بالمعروف الذي تعرفه العقول وتقرّ

(١)درء التعارض، ابن تيمية، (٤٥٨/٨).

بحسنه الفطر، فأمرهم بما هو معروف في نفسه عند كل عقل سليم، ونهاهم عما هو منكر في الطباع والعقول، بحيث إذا عرض على العقول السليمة أنكرته أشد الإنكار، كما أن ما أمر به إذا عرض على العقل السليم قبله أعظم قبول وشهد بحسنه"(١).

فالشرع قد يأتي لكشف ما دلت عليه الفطرة وقد يأتي لكشف وبيان ما لا يمكن إدراكه بالفطر أيضاً ولا يكون مخالفاً لمقتضاها(٢).

ومن الأدلة الدالة على فطرية الأخلاق ما قاله رسول اللهُ -صلى الله عليه وسلم- لِأَشَجِّ عبدِ القيسِ -رضي الله عنه-: **«إنَّ فيكَ خَلَّتَينِ يُحبُّهما اللهُ: الحلمُ والأناةُ، قال: يا رسولَ اللهِ، أنا أتخلَّقُ بهما أم اللهُ جَبَلَني عليهما؟ قال: بل اللهُ جَبَلَك عليهما، قال: الحَمدُ للهِ الذي جَبَلَني على خَلَّتَينِ يُحبُّهما اللهُ ورسولُه»** (٣). فهذا الحديث يدل على أن هذه الأخلاق التي اتصف بها (أَشَجُّ عبدِ القيسِ) مما تلائم الفطرة وتقتضي مدح فاعلها.

وكذلك حديث **حكيم بن حزام** -رضي الله عنه-: أنَّهُ قالَ لِرَسولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ-: أيْ رَسولَ اللهِ، أرَأَيْتَ أُمُورًا كُنْتُ أتَحَنَّثُ بها في الجاهِلِيَّةِ، مِن صَدَقَةٍ، أوْ عَتاقَةٍ، أوْ صِلَةِ رَحِمٍ، أفيها أجْرٌ؟ فقالَ رَسولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ-: **«أسْلَمْتَ علَى ما أسْلَفْتَ مِن خَيْرٍ»**(٤).

وأكد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-على هذا المعنى وأن الإنسان مفطور على التحلي بمكارم الأخلاق، فقال: "الناس إذا قالوا: «العدل حسن، والظلم قبيح»، فهم يَعْنُون بهذا أن العدل محبوب للفطرة تحصل لها بوجوده لذةٌ وفرحٌ، نافع لصاحبه ولغير صاحبه، تحصل به اللذة والفرح وما تتنعَّم به النفوس. وإذا قالوا: «الظلم قبيح» فهم يعنون به أنه ضارّ لصاحبه ولغير صاحبه، وأنه بغيض يحصل به الألم والغم وما تتعذب به النفوس. ومعلوم أن هذه القضايا هي في علم الناس لها بالفطرة وبالتجربة أعظم من أكثر قضايا الطب"(٥).

إلى أن قال -رحمه الله-: "فالإنسان من نفسه يجد من لذة العدل والصدق والعلم والإحسان، والسرور بذلك، ما لا يجده في الظلم والكذب والجهل. والناس الذين وصل

(١)مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (٣٨٨/٢).

(٢)انظر: المعرفة في الإسلام، عبد الله القرني، ص (٢٨٠).

(٣)صحيح أبي داود برقم: ٥٢٢٥، وقال الألباني: حسن دون ذكر الرجلين.

(٤)رواه مسلم برقم: ١٢٢٥.

(٥)الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص (٣٤٧).

إليهم ذلك والذين لم يصل إليهم ذلك يجدون في أنفسهم من اللذة والفرح والسرور بعدل العادل وبصدق الصادق وبعلم العالم وإحسان المحسن ما لا يجدونه في الظلم والكذب والجهل والإساءة. ولهذا يجدون في أنفسهم محبة لمن فعل ذلك وثناء عليه ودعاء له، وهم مفطرون على محبة ذلك واللذة به. لا يمكنهم دفع ذلك عن أنفسهم، كما فطروا على وجود اللذة بالأكل والشرب والألم بالجوع والعطش"[١].

ويقول شيخ الاسلام **ابن تيمية** -رحمه الله- أيضاً: "إذا كان في العبد محبَّة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه، فهو يفعله لما فيه من المحبة له، لا لله ولا لغيره من الشركاء، مثل أن يحب الإحسان إلى ذوي الحاجات، ويحب العفو عن أهل الجنايات، ويحب العلم والمعرفة وإدراك الحقائق، ويحب الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم، فإن هذا كثير غالب في الخلق في جاهليتهم وإسلامهم، في قوَّتَي النفس العلمية والعملية، فإن أكثر طلاب العلم يطلبونه محبَّة؛ ولهذا قال أبو داود للإمام أحمد بن حنبل: طلبت هذا العلم - أو قال-: جمعته لله؟ فقال: لله عزيزٌ، ولكن حبِّب إليَّ ففعلته.

وهذا حال أكثر النفوس، فإن الله -عز وجل- خلق فيها محبة للمعرفة والعلم وإدراك الحقائق، وقد يخلق فيها محبة للصدق والعدل والوفاء بالعهد، ويخلق فيها محبة للإحسان والرحمة للناس، فهو يفعل هذه الأمور: لا يتقرب بها إلى أحد من الخَلق، ولا يطلب مدح أحد، ولا خوفاً من ذمه، بل لأن هذه الإدراكات والحركات يتنعَّم بها الحي ويلتذّ بها، ويجد بها فرحًا وسرورًا، كما يلتذُّ بمجرد سماع الأصوات الحسنة، وبمجرد رؤية الأشياء البهجة، وبمجرد الرائحة الطيبة"[٢].

وقد أشار **ابن القيم** -رحمه الله- إلى قضية (فطرية الأخلاق) في مسألة التفريق بين الصفات المتقابلة الموجودة في الناس كالكذب والصدق والعدل والظلم ونحو ذلك أن نسبة "هذا إلى فطرهم وعقولهم كنسبة الحلو والحامض إلى أذواقهم، وكنسبة رائحة المسك ورائحة النتن إلى مشامّهم، وكنسبة الصوت اللذيذ وضده إلى أسماعهم، وكذلك كل ما يدركونه بمشاعرهم الظاهرة والباطنة"[٣].

---

(١)الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص (٣٤٧-٣٤٨).

(٢)جامع المسائل، لابن تيمية، ص (١٩١). مسألة: فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه.

(٣)مدارج السالكين، ابن القيم، (٢٣٠/١).

ولعل من المناسب ذكره هنا في الحديث عن فطرية الأخلاق ما ذكره بعض علماء العلم الطبيعي أنفسهم كالعالم (جيمس واطسون) [١]في كتابه "DNA" الذي جاء فيه: "أن المفاهيم الأخلاقية مدموغة في جينات الإنسان منذ نشأته، وقبل وجود الديانات"[٢].

فالمفاهيم الأخلاقية قضايا فطرية موجودة في طبيعة خلق الإنسان، مثلها مثل الفطرة على الدين أيضاً، فهو أمر يقرّ بوجوده الفطري في خلق الإنسان بعض علماء الطبيعة كما يخبرنا **(روبرت وينستون)** [٣]في كتابه (الفطرة البشرية) قائلاً: "إن الحس الديني جزء من بنيتنا النفسية، وأنه مسجل في جيناتنا، وأنه يتراوح قوة وضعفاً من إنسان لآخر"[٤].

وهذه القوة الفطرية يسميها فلاسفة الأخلاق بـــ (الحاسة الخلقية أو الضمير، وهي عندهم قوة معيارية نابعة من نفس الإنسان وليست مفروضة عليه من الخارج) [٥].

ولو بحثنا عن معنى الضمير في المعاجم الفلسفية الغربية **كالموسوعة الفلسفية الشهيرة (لا لاند)** لوجدنا أن الضمير يعني: (خصوصية العقل في إصدار أحكام معيارية قيمية تلقائية وفورية، على القيمة الأخلاقية لبعض الأعمال الفردية المحدّدة)[٦].

وهو ما يسميه الفيلسوف العربي المعاصر **(عبد الوهاب المسيري)** (١٩٣٨-٢٠٠٨م)، ويعبر عنه بـــ (الإله الخفي)، ويعني به (أن ثمة شيئاً غير مادي، كامن في الإنسان، يدفعه نحو الخير، وهو إن لم يتجه نحو الخير كما يُملي عليه ضميره فإنه يشعر بالذنب وأنه أنكر بُعداً أساسيًّا من وجوده) [٧].

ووجود هذه الفطرة أو هذا الضمير هو دليل على وجود الله -سبحانه وتعالى- واستحالة وجودهما بدونه. وقد ولد الإنسان وفطرته تقتضي الأخلاق والفضائل، ووجود

---

(١)ولد بأمريكا عام ١٩٢٨م، وحصل على الدكتوراه في علم الوراثة، وحصل على جائزة نوبل سنة ١٩٦٢م في أبحاثه البيولوجية. انظر: رحلة عقل، عمرو الشريف، ص (١٧٣).

(٢)انظر: رحلة عقل، عمرو الشريف، ص (١٧٣).

(٣)إنجليزي ولد عام ١٩٤٠م، يعمل أستاذًا وعميدًا لمعهد أمراض وجراحة النساء والتوليد بلندن، وله أبحاث مشهورة في مجال أطفال الأنابيب والحيوانات المنوية والخلايا الجذعية، ويشغل منصب رئيس الاتحاد البريطاني لتقدم العلوم. انظر: رحلة عقل، عمرو الشريف، ص (١٧٣).

(٤)انظر: رحلة عقل، عمرو الشريف، ص (١٧٣).

(٥)المعرفة في الإسلام، عبد الله القرني، ص (٢٨٢).

(٦)موسوعة (لالاند) الفلسفية، أندريه لالاند، (٢١٢/١ -٢١٣).

(٧)دراسات معرفية في الحداثة الغربية، عبد الوهاب المسيري، ص (١٩٨).

هذه القيم الأخلاقية دالة على وجود الخالق الذي اتصف بصفات الكمال وتنزه عن النقائص.

وآثار صفاته -سبحانه- تتجلى في مفعولاته (مخلوقاته)، كما تتجلى في أفعاله "الإحياء والإماتة وتدبير شؤون الخلائق ونحوه"، فوجود الأخلاق والفضائل دال على رحمته ولطفه وفضله. و "إن من أعظم الطرق الشرعية للاستدلال على وجود الخالق -جل وعلا- التعرف عليه من خلال آثار صفاته في مفعولاته"(١).

وما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوة الصحيحة من وصف الله -تبارك وتعالى- بصفات كريمة على صيغة التفضيل، مثل: "الأكرم، وأرحم الرحمين، وأحكم الحاكمين، وأحسن الخالقين، وخير الغافرين" التي تدل على كمال استحقاق الله لهذه الصفات الخُلقية التي اتصف بها واتصف بقدر مشترك فيها مع المخلوق، تدل على استحالة صدورها من مصدر لا يتصف بالتمام والكمال، بدلالة عقلية وهي قياس الأولى.

يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية**: "قوله: (الأكرم) يقتضي أنه أفضل من غيره في الكرم، والكرم اسم جامع لجميع المحاسن، فيقتضي أنه أحق بجميع المحامد، والمحامد من صفات الكمال، فيقتضي أنه أحق بالإحسان إلى الخلق والرحمة بهم، وأحق بالحكمة وأحق بالقدرة، والعلم والحياة وغير ذلك"(٢).

ويقول أيضاً -رحمه الله-: "من جعل غيره على صفة من صفات الكمال فهو أولى باتصافه بصفة الكمال من مفعوله، وأما صفات النقص، فلا يلزم إذا جعل الجاعل غيره ناقصاً أن يكون هو ناقصاً، فالقادر يقدر أن يُعجز غيره، ولا يكون عاجزاً، والحي يمكنه أن يقتل غيره ولا يكون ميتاً، وكذلك من جعل غيره ظالماً وكاذباً، لا يلزم أن يكون ظالماً وكاذباً؛ لأنها صفات نقص"(٣).

إن هذه الفطرة التي خلق الله الناس عليها هي سنة خلقه **(¤ ¥ ¦ § © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾) [سورة الروم: ٣٠].**

---

(١)الأدلة العقلية والنقلية، سعود العريفي، ص (٣٢٩).

(٢)مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٦٠/١٦).

(٣)مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤٥٠/١٦).

فالإنسان ولد وفطرته تقتضي (التوحيد) وتقتضي (الأخلاق والفضائل) من باب أولى، وقد جاء في الحديث الشريف: **«كُلُّ مَوْلُود يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِه، أوْ يُنَصِّرَانِه، أوْ يُمَجِّسَانِه، كمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتِجُ البَهِيمَةَ هلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ؟»**(١).

وهذه الفطرة السوية التي خلق الله الناس عليها قد تتغير ويطرأ عليها ما يفسدها في قضية التوحيد وهو من أظهر المعارف وأجلها، فكذلك الأخلاق وإدراك المصالح. فوجود هذه الفطرة لا يعني الاستغناء عن الوحي وعدم الحاجة للرسالات فهذا من أفسد التصورات، فتفاصيل أمور الغيب وكل ما يتعلق بالعبادات الشرعية فصّلته الرسالات، يقول الإمام ابن القيم فإن العلم "بأن ما أمرت به الرسل هو الحسن، وما نهت عنه هو القبيح طريق إلى تصديق الرسل وأنهم جاءوا بالحق من عند الله؛ ولهذا قال بعض الأعراب وقد سئل بماذا عرفت أن محمد رسول الله، فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به. أفلا ترى هذا الأعرابي كيف جعل مطابقة الحسن والقبح الذي ركب الله في العقل إدراكه لما جاء به الرسول شاهدا على صحة رسالته وعلماً عليها، ولم يقل إن ذلك يفتح طريق الاستغناء عن النبوة"(٢).

فهذا الأعرابي جعل مطابقة دعوات الرسل للفطر دليلاً على صحة رسالتهم فهي داعية للتصديق بهم لا للاستغناء عنهم.

وهنا قد قرر البحث على أن وجود الأخلاق النبيلة في فطر الناس هو دليل على خلق الله لها، ووجودها قائم به -سبحانه وتعالى-.

ثانياً: اتسام الأخلاق بأنها موضوعية ومطلقة:

فالأخلاق قيم موضوعية بمعنى أنها غير ذاتية، وهي متجاوزة لوجود الإنسان وتتجاوز الوجود المادي عموماً. وهي قيم مطلقة بمعنى أنها ليست نسبية فلا تتشكل بتشكل الظروف ولا تتغير بتغير الأحوال.

إن القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية منفصلة عن محددات الزمان والمكان ، ويشعر الإنسان معها بأنها أخلاق وفضائل متعالية ومتجذرة في أعماق نفسه، ويجد من نفسه إدراكاً ضروريًّا أيضاً بأن لها معانيَ موضوعية، ويقرّ بها عقلاء الناس إقراراً

(١)أخرجه البخاري برقم: ١٣٥٩ وبرقم١٣٨٥، ومسلم برقم: ٢٦٥٨.

(٢)مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (٥٢٤/٢).

ضروريًّا "ولا يمكن لتلك القيم أن تكون غير متصفة بالضرورة والإطلاق؛ لأنه حينئذ ستتغير حياة الإنسان وتنقلب رأساً على عقب، فكل تصرفات الانسان التي جعلت منه كائناً متفرداً في بناء حياته ومتميزاً في تأسيس حضارته قائمة على تلك القيم، فبيع الناس وشراؤهم وتعليمهم وعلاقاتهم مع جيرانهم وأصدقائهم وآبائهم وأبنائهم قائمة على تلك القيم، فلا تكاد تجد شعباً من الشعوب الإنسانية ينازع في كون العدل والصدق والأمانة معاني محمودة لا بد من الأخذ بها، وأن الظلم والكذب والخيانة معان مذمومة لا بد من الابتعاد عنها"(١).

بل إن غياب الأخلاق هو غياب للإنسان وبعبارة المفكر الإسلامي (طه عبد الرحمن): "لا إنسان بغير أخلاق"(٢)، فالأخلاق الحسنة هي معانٍ شريفة وقيم عليا، وليس في كائنات هذا العالم مثل الإنسان تطلعاً إلى تحقيق هذه القيم والمعاني، ويكون الفرد مستحقًّا لوصف الإنسانية بقدر ما يتحقق به منها، فإذا زادت هذه المعاني والقيم زاد هذا الوصف وإذا نقصت نقص(٣).

ووجود هذه القيم الأخلاقية هو أمر مرتبط بوجود الله -سبحانه وتعالى- فهو أصل كل العلوم والقيم وهو موجدها وكل شيء مفتقر إليه "وهو رب كل ما سواه ومبدعه، فوجود كل ما سواه مفتقر إلى وجوده، ووجوده غني عن كل ما سواه"(٤).

ومآل كل شيء إليه -سبحانه وتعالى-: **(è ç æ å) [سورة النجم: ٤٢]**، وهو الذي قال -جلّ ثناؤه-: **(N M L K J) [سورة الشورى:٥٣]**.

وهو كما قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: "مؤصل كل أصل، ومسبب كل سبب وعلة، وهو الدليل والبرهان والأول والأصل الذي يستدل به العبد"(٥).

و"كل ما خلا الله فهو معدوم بنفسه، ليس له من نفسه وجود ولا حركة ولا عمل ولا نفع لغيره منه، إذ ذلك جميعه من خلق الله وإبداعه وبرؤه وتصويره، فكل الأشياء إذا تخلى عنها الله فهي باطل، يكفي في عدمها وبطلانها نفس تخليه عنها"(٦).

---

(١)انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، سلطان العميري، (٢٢٢/٢).

(٢)سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، طه عبد الرحمن، ص (١٤٧).

(٣)انظر: سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، طه عبد الرحمن، ص (١٤٧).

(٤)شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص (١٠٩).

(٥)مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٩/٢).

(٦)مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤٢٥/٢).

فوجود الله -تعالى- هو الأساس الموضوعي لوجود القيم الأخلاقية المطلقة، وعدم وجوده يعني الفساد الأخلاقي والاضطراب القيمي بل والمعرفي.

فلا يمكن أن تكون هناك قيم وأخلاق مطلقة من دون وجود الله -سبحانه- فهي تفتقر في وجودها إليه ولا يمكن أن تستقل بنفسها عنه، ولا يمكن أن تكون إلا من مقتضيات خلقه -جل في علاه-.

ووجود القيم الأخلاقية المطلقة دليل على وجود المطلق -سبحانه- الذي اتصف بالعلم والحكمة وتدبير الكون، وتجرد عن الأهواء والتحيزات والنزعات النفسية، وقد أكد الفيلسوف المعاصر **(جاك مارتيان)** [١]على هذا المعنى قائلاً: "إن أي مجتمع بشري يحتاج إلى مجموعة من القيم ذات المصدر الإلهي الذي يعلو على الإنسان؛ أي: إن مصدر القيم لا يجوز أن يرجع إلى الإنسان نفسه، وإلا سيكون طرفاً وقاضياً في الوقت نفسه، إذن لا بد لكي يحتفظ المجتمع البشري باستقراره وخضوعه للسلطة السياسية، من وجود حقائق مطلقة يسلم بها الأفراد جميعاً"[٢].

فالإنسان ليس مصدراً مناسباً لوجود تلك القيم الأخلاقية؛ لمحدودية علمه وإدراكه وتصوراته، ولأنه قاصرٌ عن الإحاطة بكل ما في هذا الوجود. فالله -سبحانه وتعالى- وقضية الإيمان بوجوده المطلق والذي شمل علمه كل شيء وأحاط بجميع ما في الوجود، هو ضرورة لكونه المؤسس لتلك المبادئ والقيم.

يقول **(وليم لين كريغ)** [٣]: "الإيمان بالإله يوفر مصادر تُقدم أساساً متيناً للأخلاق يتيح بناء كل من القيم الأخلاقية الموضوعية والواجبات الأخلاقية الموضوعية؛ وهكذا أعتقد بوضوح أن الإله إن كان موجوداً فسيمدنا بأساس متين لوجود القيم والواجبات الأخلاقية الموضوعية"[٤].

---

(١)هو فيلسوف كاثوليكي معاصر ويعد مؤرخ للفلسفة، ولد في باريس سنة١٨٨٢م، والتحق بالسوربون لدراسة الفلسفة والعلم الطبيعي «وأعلن عدم رضاه عن الجو الفكري السائد فيها والذي كان خليطاً من الوضعية والعلمانية وغيرهما» توفي سنة ١٩٧٣م. راجع مقال: جاك مارتيان، لسوسان الياس، وموسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية.

(٢)المدخل لدراسة النظم الاسلامية، محمد رأفت سعيد، ص (٢٩).

(٣)ولد سنة ١٩٤٩م، ويعمل أستاذاً للفلسفة في كلِّيَّة لاهوتية، وأحدُ أكثر المتحمسين المدافعين عن المسيحيَّة، وله حضورٌ بارزٌ على الإنترنت، وله عدَّة مؤلَّفاتٍ من أشهرها كتاب: إيمان منطقيٌّ. انظر صفحة الغلاف لكتاب: مستعدون للمجاوبة «كيف تقدم إيمانك بعقل ودقة».

(٤)الإلحاد بين قصورين، وليم **لين كريغ**، ص (٢١ -٢٢).

وذكر البرفسور **(إيان ماركم)** أن لغتنا الأخلاقية تشير إلى شيء فوق أنفسنا وأبعد عنها، فالحقيقة الأخلاقية هي شيء يسمو فوق حياتنا وعالمنا، والمعنى المضمر في اللغة الأخلاقية يدل على أنه شيء عام وخارجي[١].

ولا يمكن أن يكون العالم المادي هو مصدر القيم الأخلاقية، فالقيمة الأخلاقية لا تُقاس بالمعايير المادية المُجردة ولا تخضع للقوانين الطبيعية ؛ فالمادة صماء والقيم الأخلاقية طبيعتها مختلفة عن طبيعة العالم المادي تماماً، فلا بد أن يكون مصدرها خارجاً عن المادة، ويوضح هذا المعنى **(فتجنشتاين)**[٢] قائلاً: "معنى العالم لا بد أن يقع خارج العالم، في داخل العالم كل شيء على ما هو عليه، ويقع كما يقع، في داخله لا توجد قيمة، فلابد والحال كذلك أن تقع خارج نطاق مجموع الحوادث ووجود الأشياء في ذواتها؛ ذلك أن مجموع الحوادث ووجود الأشياء في ذواتها أمر اتفاقي، الشيء الذي يجعل ذلك أمراً غير اتفاقي لا يمكن أن يقع داخل العالم، وإلا أصبح -بدوره- أمراً اتفاقيًّا، لا بد أن يقع خارج العالم"[٣].

فلو كانت الأخلاق وإنتاج المعنى حسب أصحاب التصور المادي القائلين بالعشوائية والصدفة فلا داعي للالتزام بالأخلاق إذن فلا هدف ولا غاية ولا إرادة ولا معنًى لأن يكون الإنسان ملتزمًا بالفضائل ومجتنباً للرذائل.

إن إنكار موضوعية الاخلاق وإنكار وجودها المطلق المتعالي عن الزمان والمكان هو إغراق في النسبية وانتهاك صارخ للمنظومة الأخلاقية النبيلة، ويؤدي إلى القضاء على الحياة الإنسانية بأكملها ويصبح الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان، ويصبح من الممكن أن يكون الاتجار بالبشر والاغتصاب ونكاح المحارم أمراً لا غبار عليه في زمن ما، ومن الممكن أيضاً أن يكون أمر القتل وسفك الدماء أمر مقبولاً وجيداً في مجتمع ما.

وإنكار وجود القيم الأخلاقية المطلقة هو غياب للمعنى وفقد لمعنى الإنسان وإسقاط لمؤسسة حقوق الإنسان، ويوضح المسيري هذا المعنى بقوله: "مع غياب الحقيقة المطلقة لا يمكن أن يكون هناك حق، ولا يمكن التوصل إلى أية قيمة أخلاقية، فكل القيم

---

(١)الحقيقة الإلهية، حمزة إندرياس تزورتزس، ص (٢٤٧).

(٢)ولد في النمسا سنة ١٨٨٩م، ودرس بجامعة كمبردج بإنجلترا، وعمل بالتدريس هناك، يعدُّه بعض العلماء أعظم فيلسوف في القرن العشرين، توفي سنة ١٩٤٩م، راجع: (لودفيج فيتجنشتاين) موسوعة ستانفورد الفلسفية، ترجمة: علي رضا، على الشبكة العنكبوتية.

(٣)العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، ص (١٥٨).

الأخلاقية نسبية، وهذا يعني في واقع الأمر غياب المعيارية واختفاء أية إنسانية مشتركة، ومن ثم سقوط مفهوم الإنسانية نفسه؛ إذ كيف يمكن أن يكون هناك مفهوم للإنسان دون أية معيارية معرفية أو أخلاقية ؟! وكل هذا يعني نزع القداسة عن الأشياء كافة، وتساوي الإنسان بكل الكائنات، وأن لا تكون له أية مكانة خاصة في الكون؛ أي: أن يصبح الإنسان شيئاً ضمن الأشياء، تسري عليه القوانين الطبيعية/المادية، وتهيمن عليه الواحدية المادية"[١].

فالتصور المادي يلغي القيم والأخلاق المطلقة التي تحكم تصرفات الإنسان وتضبط أفعاله، ويفتح باب النسبية وغياب المعيارية.

فالإيمان بوجود الإله المتصف بالكمال المطلق هو الأساس الذي ينبني عليه التسليم بوجود قيم أخلاقية مطلقة؛ لأنها مرتبطة به -سبحانه- المتصف بالعلم والإرادة والحكمة. والمتجرد عن النزوات والأهواء النفسية والرغبات الشخصية، وهذا ما يُمكّن المؤمن من استيعاب وجود القيم المتجاوزة لوجوده.

والمؤمن تترسخ عنده هذه القيم لإيمانه بالقيمة الموضوعية المطلقة وارتباطها بالحق -سبحانه- الذي أحاط بكل شيء علماً، فهو يقبل هذه القيم الأخلاقية ويجد نفسه مجبولاً عليها لما أودعه الله في فطرته من استحسان للصفات النبيلة واستقباح للصفات القبيحة.

وهو يفعل ذلك أيضاً امتثالاً لأمر الله وراجياً المثوبة والأجر من عنده -سبحانه-، والرؤية الدينية هذه تجعل المؤمن متسق ومنسجم في امتثاله للقيم الأخلاقية ويشعر معها بالوضوح وعدم التناقض.

(١)موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، (٢٤٦/١).

المبحث الثاني: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الغربي

بعد أن تناولنا في المبحث السابق مسألة ارتباط وجود القيم الأخلاقية بوجود الله -سبحانه وتعالى-، وأنه لا يمكن أن يكون لها وجود إلا وجوداً موضوعياً مطلقاً متعالياً على الزمان والمكان ومتعالياً على وجودنا نحن، وهذا لا يمكن تحققه إلا بالإقرار بوجود الخالق -جل وعلا- والإيمان بدينه المنزّل.

سيتناول هذا المبحث دراسة معضلة القيم الأخلاقية في بنية الفكر الإلحادي المادي المعاصر ومسارها التاريخي في الفكر الغربي، وسيكون مستوى الطرح هنا متعلقاً بمستوى البناء والتأسيس المعرفي وليس بمستوى السلوك والأخلاق الفردية.

فالأصل في موضوع دراسة علم الأخلاق أنه مبحث ميتافيزيقي يتعلق بوجود الأخلاق (المستوى الأنطولوجي)، وأنها تقوم على مبادئ وقيم مطلقة وهذا هو أساس الطرح هنا وجوهره، فلا يناقش هنا تفاصيل الأخلاق ولا كيفية التعرف عليها ولا قضية: هل كل مؤمن ملتزم بالفضائل والقيم؟ وهل كل ملحد غير ملتزم بها؟، إنما الذي يطرح هنا هو القضية التأسيسية التي ينبني عليها وجود الأخلاق.

ففي ظل الرؤية الكونية المادية وغياب الإيمان بوجود الله؛ ما الذي يجعل من العدل والإحسان والصدق قيم مطلقة؟ وما الذي يجعل من السرقة والاغتصاب والقتل وممارسة الجنس مع المحارم أو الأطفال أو البهائم أخلاقاً ذميمة، إن كان الملحد يعتقد بالصدفة وأن الإنسان هو مجرد منتج طبيعي من منتجات المادة الصماء؟! وبعبارة الملحد (ستيفن هوكنج) [(١)]: "الجنس البشري هو مجرد وسخ كيميائي، موجود على كوكب متوسط الحجم"[(٢)].

ما مبرر وجود القيم الأخلاقية المطلقة إذن؟ وكيف نفسِّر فطرية الأخلاق التي نشعر أننا مضطرون إليها، وأنها قيم متعالية على وجودنا نحن.

---

(١)هو عالم فيزيائي شهير ولد سنة ١٩٤٢م، حاز شهادة الدكتوراه في علم الكون من جامعة كامبريدج، توفي سنة ٢٠١٨م. راجع تقرير لـــ CNN العربية بعنوان: مَن هو العالم الفيزيائي ستيفن هوكينغ؟ بتاريخ: ١٤ مارس ٢٠١٨ على الشبكة العنكبوتية.

(٢)شموع النهار، علد الله العجيري، ص (٥٩).

نجد أن الخطابات الإلحادية قد اضطربت في مواقفها من هذه المسألة، نتيجة فساد تصورها للكون وتفسيرها لأسباب نشأته، ولا يمكنها بناء وتأسيس القيم الأخلاقية مع إنكارها لوجود الله -سبحانه وتعالى- ربًّا خالقاً حكيماً عليماً.

يقول **(علي عزت بيجوفيتش)** (١٩٢٥-٢٠٠٢م) أنه: "لا يمكن بناء نظام أخلاقي على الإلحاد"(١). ويقول أيضاً: "الأخلاق -كمبدأ- لا توجد بلا دين، بينما الأخلاق العملية يمكن لها أن توجد في غياب الدين"(٢).

ويقول **(دوستوفيسكي)**: "إذا لم يكن الله موجوداً فكل شيء مباح"(٣). ويقول صاحب المذهب الوجودي الفيلسوف **(سارتر)** (١٩٠٥-١٩٨٠م): "إن الوجودي يعتقد أنه من المؤلم جدًّا ألا يوجد إله؛ لأن كل احتمال للعثور على قيم في سماء من الأفكار يختفي باختفاء الله"(٤).

وقد أدرك هذه الأزمة الفكرية الملحد المعاصر **(دوكنز)** (٥)فقال: "من الصعب جدًّا أن ندافع عن الأخلاق المطلقة على أسس غير دينية"(٦).

وهذا هو المعنى الذي أدركه بعض الملاحدة وفلاسفة الفكر الغربي، فإنكارهم لوجود الله أوقعهم في هذا المأزق الأخلاقي العظيم، وهو غياب أساس وجود الأخلاق.

فقد يوجد ملحد ذو أخلاق حسنة من الناحية العملية، لكنه بامتثاله للفضائل والقيم لا يكون متسقًا مع رؤيته الكونية المادية، بخلاف المؤمن المتمسك بالقيم والفضائل فهو متسق تماماً مع رؤيته الدينية.

وقد لفت القرآن الكريم الأنظار إلى هذه القضية فقال -جلّ وعلا-: **(d c b i h g f e)** **[سورة آل عمران: ١٥٢]**.

---

(١)الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، ص (٢١٠).

(٢)المرجع السابق ، ص (٢١٠).

(٣)دواعي الإيمان في عصرنا، جيوفاني مارتنتي، (٣٣٦/٢)؛ الوجودية مذهب إنساني، جان بول سارتر، ص (٢٥).

(٤)آراء فلسفية في أزمة العصر (الوجودية الإلحادية)، آدريين كوخ، (٢١/٢).

(٥)عالم الأحياء التطوري المولود سنة ١٩٤١، وهو زعيم فرسان الإلحاد الأربعة، ويعد أعنفهم أيضًا وأكثرهم تهجمًا على الدين والمتدينين، وخاصة الدين الإسلامي. انظر: مقال عنوانه: «الإلحاد بين الحقيقة والوهم (٦) تشارلز دوكينز والفرسان الأربعة: هيستيريا الإلحاد الجديد»، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٧م، موقع أمة واحدة على الشبكة العنكبوتية.

(٦)وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص (٢٣٤).

فهناك من يلتزم بالأخلاق الفاضلة لأجل الدنيا (شهرة / منصب / نفوذ /محبة الناس، وما إلى ذلك) فعلى المستوى العملي والشخصي يمكن للفضائل والقيم الأخلاقية أن تتحقق تحت مظلة الإلحاد.

وسوف يطرح البحث هنا ويناقش أيضاً قضية السياق التاريخي لتفسير وجود القيم الأخلاقية في الفكر الغربي، وسيذكر اختلافات أصحاب الرؤى المادية في تفسير سبب وجود القيم الأخلاقية، وسيبين كيف أنكر بعضهم وجودها المطلق ووقع في فخ النسبية العقيمة.

فنجد أن **(جون لوك)** (١٦٣٢-١٧٠٤م) مثلاً -في بداية القرن السابع عشر- قد أدرك خطورة استبعاد وجود الله من المشهد الفكري الغربي وتأثير غيابه على مسألة تأسيس الأخلاق، فأدرك مبكراً أنه لا يمكن تصور الأخلاق إلا بالرجوع إلى خالق متعالٍ، ومشرّع للقوانين[١].

و"لا يمكن التسامح مع الذين ينكرون وجود الله .. فالوعد والعهد والقسم التي هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد .. هذا كله يذوب في ظلّ وجود فكرة أنه لا إله"[٢].

ومع ذلك نجد أن موقف الفيلسوف **(بير بايل)** (١٦٤٧-١٧٠٦م) وهو من أقوى من نقد الكتاب المقدس في القرن السابع عشر، كان مختلفاً جدًّا عن (جون لوك) في الموقف من هذه القضية، حيث سعى إلى إقامة أخلاق علمانية مستقلة عن الألوهية والوحي وأكد على أنه يمكن أن يقوم مجتمع ملحد، ويكون متمسكاً بالأخلاق والمبادئ، وانتقد قول أهل الإيمان النافي لإمكان وجود ذلك، فالأخلاق عنده موجودة في الفهم العلمي ولا تحتاج إلى اعتماد على دين أو مذهب الألوهية النظري[٣].

وعند فلاسفة التنوير أصبحت فكرة فصل الأخلاق عن الدين أشد وضوحاً في القرن الثامن عشر الميلادي، عندما تبنى فلاسفة التنوير مقولة (الدين الطبيعي) فالتجربة

(١)الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص (١٤٠-١٤١).

(٢)الإنسانوية مقدمة قصيرة جدًّا، ستيفن لو، ص (٣٠).

(٣)انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص (١٩٢-١٩٤).

الطبيعية حلّت محل اللاهوت المسيحي وظهرت مقولات الأخلاق الطبيعية والفلسفة الطبيعية والإنسان الطبيعي ونحوها[١].

ومن أبرز فلاسفة التنوير الفيلسوف الربوبي[٢] **(فولتير)** (١٦٩٤-١٧٧٨م) الذي حاول تأسيس فلسفة تنفي الأصل الإلهي للأخلاق وبالغ في تقديم رغبات الإنسان ومراعاة حاجاته وملذاته، وكان يرى أن "الإله غير مسؤول عن عالمنا؛ إذ ينبغي تبرئة الله من أية مسؤولية أخلاقية عن الشر"[٣]. ووجود الله هو مجرد وهم نافع للأخلاقية الفردية أو الاجتماعية، وقال بأنه "من الأفضل بكثير من الناحية الأخلاقية أن نؤمن بوجود إله من عدم الإيمان بوجوده، فلو لم يكن الله موجوداً لتعين اختراعه"[٤].

أما الأخلاق عند **(ديفد هيوم)** (١٧١١-١٧٧٦م) -وهو فيلسوف له أهمية خاصة في الخطاب الإلحادي المعاصر، وكان رائداً من دعاة اللاأخلاقية اللادينية أو العلمانية الكاملة-[٥]. وكان يرى أن المعتقدات الأخلاقية غير قابلة أساساً للتبرير والاحتكام إلى العقل أو الخبرة مؤكداً أنه "لا ينافي العقل أني أفضّل تدمير العالم بأسره على أن تُخدش إصبعي"[٦].

فالخير والشرّ ليست قيمتين موضوعيتين قائمتين في الأفعال الإنسانية، والأحكام الأخلاقية هي من شأن العاطفة أولى من أن تكون من شأن العقل[٧]. فهو يرى أن حسن الفعل أو قبحه يمكن الحكم عليه من زاوية التجربة البشرية فقط، فليس لدينا مبرر مستقل عن التجربة البشرية يطمئننا بشأن ما نؤمن به من قيم أهي حقًّا خير في ذاتها وبالتالي نفعلها من أجل ذلك أم لا ؟[٨].

وهذا إعلان منه عن عجزه في وضع أساس للأخلاق غير متعالٍ!.

---

(١)انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ص (٢٦٤).

(٢)المذهب الربوبي يعني: الإيمان بالألوهية ووجود الله ومعاداة فكرة الوحي الخارق للطبيعة. انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص (٢٠٤).

(٣)الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص (٢٠٩).

(٤)الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص (١٧٧).

(٥)انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص (١٧٤).

(٦)الإنسانوية مقدمة قصيرة جدًّا، ستيفن لو، ص (٢٦).

(٧)الموسوعة الفلسفية، أ. روزنتال، وآخرون، (٦١٧/١).

(٨)انظر: ثلاث رسائل، عبد الله الشهري، ص (٢٦٩).

ومع إيمان **(كانت)** (١٧٢٤-١٨٠٤م) بالعلم، وأنه هو السبيل الوحيد للمعارف وأن البشر عبارة عن عناصر في آلة هائلة الحجم تعمل بقوانين الفيزياء، نجد أنه قال: "لإنقاذ المبادئ الأخلاقية علينا التصرف كما لو أننا أحرار. ولتقوية معاييرنا الأخلاقية، علينا التصرف كما لو أن الله موجود. وعلينا التصرف كما لو أن هنالك آخرة؛ لأن المبادئ الأخلاقية لا معنى لها إلا بانتصار العدالة في النهاية. وإلا ستعتبر جميع القوانين الأخلاقية مجرد أحلام عاطلة"[١].

ففكرة وجود الله عند كانت هي مجرد مصادرة من المصادرات الأخلاقية، ولكنه ليس أساساً محدداً لها.

وكان يرى أن الأخلاق هي قوانين وأوامر العقل، وسعادة الإنسان تكمن في اتباع أوامر القانون الأخلاقي ونواهيه[٢]، ولكي يصبح الإنسان شخصية أخلاقية يجب عليه أن يخضع لهذا الواجب، وهو القانون الأخلاقي العقلي الكلي العام وهو الدعامة المطلقة لكل خُلق[٣].

وهذا الواجب الذي يتحدث عنه كانت هو واجب صوري شكلاني لا يقوم على أي اعتبار حسي أو عملي أو ديني، فهو أراد أن يخلع على الأخلاق صفة أمرية مطلقة متزمتة مزدرية للمشاعر والوجدان، لهذا انتقد كثير من فلاسفة الأخلاق نظريته في الواجب لنزعتها الصورية المتطرفة[٤].

وأما الأخلاق في الفلسفة النفعية كما يصفها **(عبد الوهاب المسيري)**: "لا علاقة لها بالفضيلة أو الاحتياجات الروحية أو المعنى، وإنما لها علاقة بالسعادة (اللذة) والمنفعة. وبالتالي عُرّف الخير والشرّ تعريفاً ماديًّا كميًّا، فالخير هو ما يدخل السعادة (اللذة) على أكبر عدد ممكن من البشر وما يحقق لهم المنفعة، والشرّ هو عكس ذلك (أي ما يسبب الألم والضرر)"[٥].

ومن أصحاب المذهب النفعي ورموزه **(جون ستيورات ميل)** (١٨٠٦-١٨٧٣م).

---

(١)البحث عن الحقيقة، نانسي بيرسي، ص (١٥٤).

(٢)انظر: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص (١٣١).

(٣)انظر: المشكلة الخلقية، زكريا إبراهيم، ص (١٦٨-١٦٩).

(٤)انظر: المشكلة الخلقية، زكريا إبراهيم، ص (١٧٩).

(٥)العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، عبد الوهاب المسيري، ص (٣١٥).

فمقياس الأخلاق عنده هو مجموعة القواعد والأوامر الخاصة بالسيرة الإنسانية، والذي بتطبيقه نتمكن من ضمان حياة "فيها إعفاء ما أمكن من الألم، وتكون حياة ثرية بقدر الإمكان باللذات"(١)، فالأخلاق ترجع إلى الحس وتحقيق السعادة واللذة هي غاية الوجود الإنساني.

ويقول في جواب على سؤال: "هل يمكن أن يكون الدين مفيداً من الناحية الأخلاقية دون أن تؤمن بصحة أركانه وسلامة معتقداته؟ يقول: في هذا الشأن إن الإنسانية درجت على الربط بين الأخلاق والدين، في حين أن هذا الربط ليس حتماً أو ضرورة"(٢).

إن الفلسفة الأخلاقية النفعية عجزت "عن تقديم جواب حقيقي ومقنع عن كيفية معرفة النافع والضار، والحسن والقبيح، الغاية الإنسانية وغيرها، وبطبيعة الحال هذه النظرة (الأزمة الأخلاقية) امتدت إلى الإلحاد المعاصر أيضاً؛ فإن سؤال الأخلاق يشكل معضلة تهز أركان الإلحاد الجديد بكل ما تحمله الكلمة من معنًى"(٣).

وقد قرر **(داروين)** (١٨٠٩-١٨٨٣م) أيضاً في كتابه (أصل الأنواع): "أن النظم الدينية والأخلاقية ما هي إلا وسائل بيولوجية للمحافظة على بقاء الكائن الحي، وليس لها حقيقة في ذاتها"(٤).

واستفاد من نظريته الفيلسوف **(نيتشه)** (١٨٤٤-١٩٠٠م) الذي يُعدّ من أهم وأبرز فلاسفة القرن العشرين المؤثرين في الفلسفة الغربية بشكل كبير(٥). فأنكر كل القيم والمبادئ والمعاني المتجاوزة للمادة، وشنّ حرباً ضروساً على الأديان بوصفها مصدراً للقيم والأخلاق، وذكر أن البشرية تعيش الآن على عبادة الأصنام التي أضرت بحياتها وسلوكها اليومي، وهذه الأصنام هي: الأخلاق، والقيم السياسية، والمبادئ العقلية، والأديان. وسعى إلى تحطيمها وتخليص البشرية منها، وألَّف كتاباً سماه: (أفول الأصنام) (٦).

---

(١)النفعية، جون ستيورات ميل، ص (٤٤).

(٢)الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص (٢٠٥ -٢٠٦).

(٣)الإلحاد فرضية في أزمة، أحمد محمد بلقيس، ص (٨١).

(٤)الموسوعة الفلسفية، أ. روزنتال، وآخرون، (٤٧٤/١).

(٥)الموسوعة الفلسفية، أ. روزنتال، وآخرون، (٥٠٨/٢).

(٦)انظر: نيتشه، فؤاد زكريا، ص (١٦٣).

وأعلن **(نيتشه)** موت الإله، ومعنى موته: "الاغتيال العمد لفكرة الإله، وسقوط نظام المعايير والسلوك القائم على التسليم بتلك الفكرة"[١].

ودعا إلى الإنسان الأرقى أو الإنسان الأقوى، وأخلاق القوة، وسخر من الضعفاء والفقراء الذين يحسبون أنفسهم صالحين؛ لأنهم لا يملكون مخالب لينشبوها في الآخرين[٢].

وكان الموقف من القضايا الأخلاقية عند **(أصحاب المنطقية الوضعية)**[٣]: أنها لا تنطوي على أي معنى، وحكموا عليها بأنها عبارات فارغة من المضمون، وأنها ليست إلا مجرد تعبير عن الرغبات النفسية فقط، ولا يوجد أي برهان يمكن أن يثبت صحتها أو عدم صحتها[٤]. وأن الناس يختلفون في الأخلاق، فهي نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان، وليس في اختلافهم فيها أي تناقض في العقل ومنطقه[٥].

أما أصحاب **(التيار الماركسي)** [٦]، فكان موقفهم من الأخلاق الإنسانية أنها انعكاسات للتغيرات المادية الواقعة في حياة الإنسان. فكما تكون حياة الأفراد تكون أخلاقهم، فهم الصانعون لها، فالأخلاق متغيرة ليس لها قوانين مطلقة ولا مبادئ كلية[٧].

---

(١)الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ص (٣٦٩).

(٢)قصة الفلسفة، ول ديورانت، ص (٢٤).

(٣)هي حركة فلسفية حسية تغالي في إنكار الغيب والميتافيزيقا، وتؤكد على أن الفلسفة يجب أن تقتصر مهمتها على تحليل الظواهر فحسب. انظر: الموسوعة الفلسفية، أ. روزنتال، وآخرون، ص (٥٨٣-٥٨٤)؛ و المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ص (٥٧٩).

(٤)انظر: المشكلة الأخلاقية، أندريه كريسون، ص (٦٧-٦٨).

(٥)انظر: المشكلة الأخلاقية، أندريه كريسون، ص (٦٧-٦٨).

(٦)نسبة إلى مؤسس الشيوعية المادية (كارل ماركس) (١٨١٨-١٨٨٣م)، وهو التيار الإلحادي الذي جعل من محاربة الدين الخطوة الأساسية التي انبنى عليها فكره، فالدين هو انعكاس للواقع، وأن فكرة الله هي ثمرة وضع الناس الموضوعي في المجتمع القديم، وأن الدين يولد بسبب نظريات الإنسان المحدودة عن الكون. انظر: أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتزر، ص (٣٤٣-٣٤٤)؛ وانظر: الموسوعة الفلسفية، أ. روزنتال، وآخرون، ص (٤٣٨-٤٤٠).

(٧)نسبة إلى مؤسس الشيوعية المادية (كارل ماركس) (١٨١٨-١٨٨٣م)، وهو التيار الإلحادي الذي جعل من محاربة الدين الخطوة الأساسية التي انبنى عليها فكره، فالدين هو انعكاس للواقع، وأن فكرة الله هي ثمرة وضع الناس الموضوعي في المجتمع القديم، وأن الدين يولد بسبب نظريات الإنسان المحدودة عن الكون. انظر: أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتزر، ص (٣٤٣-٣٤٤)؛ وانظر: الموسوعة الفلسفية، أ. روزنتال، وآخرون، ص (٤٣٨-٤٤٠).

لأن الأخلاق من صنع طبقات المجتمع المسيطرة[١]، ومن هذا المنطلق لا توجد أخلاق مطلقة موضوعية.

أما الأخلاق عند **(تيار الملاحدة الجدد)**[٢] فيحاولون تقديم إجابات هزيلة على وجود الأخلاق وتفسيرها، فـ **(سام هاريس)** [٣] -على سبيل المثال- في كتابه (المشهد الأخلاقي) يحاول أن يقدم بياناً لرؤيته في أن العلم قادر على تحديد القيم الحسنة والقبيحة طالما أن العلم قادراً على إخبارنا بما يحقق العافية للإنسان[٤].

فربط بين القيم وبين العافية بطريقة غير موضوعية، وجعل كل ما يرتقي بعافية الإنسان هو أمر أخلاقي ومعيار للقيم الأخلاقية، ولم يقدم دليلاً تجريبيًّا أو علميًّا على اختياره لهذا المعيار!!

"فالعلم وإن قدر -إلى حد ما- أن يُحدثنا بما يُسهم في عافية الإنسان، إلا أنه جعل ما يسهم في عافية الإنسان ممارسة أخلاقية حسنة ليس مقولة علمية، يمكن البرهنة عليها علميًّا"[٥].

وما قال به **(هاريس)** من جعل معيار الأخلاق هو عافية الإنسان، هو هروب من جواب على سؤال: كيف وجدت الأخلاق؟

فالإنسان لا يقوم بالأخلاق لأنها تزيد من عافيته فقط، بل إن كثيراً من الأعمال الأخلاقية ليست مريحة أصلاً، ونقوم بها لكونها حسنة في نفسها أو نفعلها طلباً لمثوبة من عند الله[٦].

---

(١)انظر: الموسوعة الفلسفية، أ. روزنتال، وآخرون، (٢/٤٢١-٤٢٢).

(٢)الإلحاد الجديد: هو ظاهرة تمثل مجموعة من الملحدين يتسمون بمجموعة سمات مختلفة -إلى حد كبير- عن (الملحدين التقليديين)، وظهرت هذه الظاهرة وترعرعت في مطلع القرن الحادي والعشرين، وقد عُرف هذا الاسم، ووُضع له هذا المصطلح (الإلحاد الجديد) في مجلة شبكة المعلومات الأمريكية الشهيرة (wired) في عدد نوفمبر ٢٠٠٦م للملحد: (جيري وولف). انظر: ميليشيا الإلحاد (مدخل لفهم الإلحاد الجديد)، عبد الله بن صالح العجيري، ص (١٧).

(٣)عالم الأعصاب الأمريكي، يُعد أحد الفرسان الأربعة للإلحاد الجديد، ولد سنة ١٩٦٧م، وهو صاحب كتاب (نهاية الإيمان .. الدين والإرهاب ومستقبل العقل) الصادر سنة ٢٠٠٤م، وحقق مبيعات هائلة. والذي يصف الديانات على أنها "من أشنع أنواع الانحراف الذي يسيء استعمال الذكاء والإدراك الإنساني". انظر: رحلة عقل، عمرو الشريف، ص (٤٠).

(٤)انظر: الإلحاد بين قصورين، وليم لين كريغ، ص (٣٢-٣٨).

(٥)شموع النهار، عبد الله العجيري، ص (٦٤).

(٦)انظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي المعاصر، سلطان العميري، (٢/٢٣١-٢٣٣).

ويحاول **(دوكنز)** أن يقدم مناقشة وتفسيراً آخراً لوجود الأخلاق بديلاً عن العلم الطبيعي؛ لأنه يرى أن: "العلم الطبيعي ليس لديه طرق للحكم على ما هو أخلاقي؛ إن هذه مسألة متروكة للأفراد والمجتمع"(١).

وتفسير وجود الأخلاق وإرجاع وجودها للمجتمع والأفراد يجعل الأخلاق نسبية ومتغيرة، فتصبح "عرضة لتغيرات اجتماعية لا مفرّ منها. ثانياً: هذا يقودنا إلى الاعتباطيات الأخلاقية. إذا كان يقبل شخص ما بالإجماع كأساس للأخلاق، فكيف يمكننا أن نبرر موقفنا مما قام به النازيون في أربعينيات القرن الماضي؟ كيف يمكننا أن ندعي أن ما فعلوه خطأ من ناحية أخلاقية موضوعية؟"(٢).

إن التفسير الاجتماعي لوجود الأخلاق إذن يجعل الأخلاق عرضة لتغييرات اجتماعية وتقلبات مزاجية لا مفرّ منها.

وفي حوار آخر لـــ **(دوكينز)** يقول: "لا أستطيع في النهاية أن أجادل فكريًّا ضد شخص فعل فعلاً أعتقد أنه شنيع، أظن أنني في النهاية سأقول له: «طيب في هذا المجتمع لن تستطيع الفرار بهذا الصنيع»، وسأتصل بالشرطة. أدرك أن مثل هذا الجواب ضعيف، وقد قلت بأني لا أشعر بأني مجهز بأدوات إنتاج حجج للجانب الأخلاقي على النحو الذي أستطيعه في مجال علوم الكون أو البيولوجيا، لكنني لا زلت أعتقد بأنها قضية منفصلة عن الإيمان بالحقائق الكونية"(٣).

إن الرؤية الإلحادية عندما تنكرت لوجود منظومة الأخلاق المتجاوزة، جعلت من الالتزام الأخلاقي مجرد حالة نفعية براغماتية، فليس الالتزام راجعاً إلى مسألة متجاوزة لوجود الإنسان بل هو مجرد أمر حاجي، يحتاج إليه لسدّ بعض الحاجات الاجتماعية.

إن المشكلة الجلية التي تجمع أهل الإلحاد وخصوصاً أصحاب الإلحاد الجديد أنهم تركوا الانشغال بتخصصاتهم العلمية ومجالاتهم المعرفية، وأصبحوا يتحدثون في كل شيء! فأقحموا البيولوجيا والعلوم الطبيعية في علم اللاهوت والفلسفة والاجتماع والأخلاق وسائر العلوم الإنسانية، وأصبح الإلحاد لديهم هو رسالة ودين أخر لمزاحمة ومشاكسة أهل الأديان.

---

(١)شموع النهار، عبد الله العجيري، ص (٦٦).

(٢)الحقيقة الإلهية، حمزة إندرياس تزورتزس، ص (٢٥٤).

(٣)شموع النهار، عبد الله العجيري، ص (٦٦).

وسيعرض البحث في الأوراق القادمة الحديث عن الأخلاق والقيم من حيث المستوى العملي الواقعي لهؤلاء الملاحدة، بعد أن تم الحديث عن الأخلاق على المستوى الوجودي في هذا المبحث.

المبحث الثالث: أخلاق الملاحدة

على الرغم من أن مسألة التزام الملحد سلوكيًّا ببعض القيم الأخلاقية أو عدم التزامه بها لا تبدو للوهلة الأولى مرتبطةً ارتباطاً مباشراً، يأتي هذا المبحث ليركز على مسألتين؛ الأولى: الرد على ما يشاع في السجالات الفكرية والمناظرات التلفزيونية وغيرها من أن الملاحدة بالرغم من إلحادهم إلا أنهم ملتزمون بكثير من القيم الأخلاقية، بل يتفقون -أيضًا- مع غيرهم من المتدينين فيها. والثانية: أن عدم التزام الملحد بالقيم الأخلاقية -بالرغم من أنهم يزعمون خلاف ذلك- في سلوكياتهم يدل على غيابها -في المستوى الوجودي- في تفكيرهم، فإن عدم وجود الله يستلزم فقدان الأخلاق لمعناها وليس فقط تمثلها في السلوك؛ ولذلك خصصّ هذا المبحث للحديث عن مآلات الأخلاق وواقعها في الخطاب الإلحادي المعاصر، فبعد أن تبنى الملاحدة المعاصرون مقولة: أن القيم الأخلاقية هي مجرد منتج ثانوي للتطور البيولوجي، ومصدرها الانتخاب الطبيعي فقط، حيث إن مسألة الأخلاق والقيم مسألة لا تختلف عن سائر الأعضاء البيولوجية الأخرى، كاليد والقدم والرأس، فكلها جاءت نتيجة التطور البيولوجي[١]!.

وما قام به هؤلاء من تقديم مبررات وتفسيرات لمسألة وجود الأخلاق وظهورها أنها جاءت فقط كنتيجة لتغيرات بيولوجية غير واعية وغير عقلانية.

وهو بلا شك إسفاف وإسقاط عظيم للقيم الأخلاقية، يترتب عليه أنها ليست واجبات والتزامات يشعر الإنسان ضرورةً أنه واجب عليه أداءها والاستجابة لقوانينها!.

وقد ناقش **(ريتشارد دوكنز)** في كتبه أن البشر ما هم إلا آلات نجاة، رجال آليون مبرمجون بصورة عمياء، من خلال جيناتهم. لذلك من غير المنطقي وضع المسؤولية على أي أحد فيما يقوم به. وقال: "عندما يخطئ الحاسوب لا نعاقبه، إنما نبحث عن المشكلة ونصلحها. وحث على إصلاح كامل نظام العدالة الإجرامي. أليس القاتل أو المغتصب مجرد آلة فيها مكوّن معيب ؟"[٢].

(١)انظر: وهم الإله، ريتشارد دوكنز، ص (٢٢٧-٢٣٠).

(٢)البحث عن الحقيقة، نانسي بيرسي، ص (١٥٢).

ويقول **(ما يكل روس)** [١]: "يقول التطوريون المعاصرون: إن لدى البشر وعياً بالأخلاقيات؛ لأن هذا الوعي له قيمة بيولوجية، فالأخلاقيات تكيّف بيولوجي، كاليدين والرجلين والأسنان تماماً، وعلم الأخلاق مجرد وهم عند النظر إليه كمجموعة مبررة ورصينة من الادعاءات حول شيء موضوعي ما. أقدّر أحدهم عندما يقول: «أحبِبْ جارك كما تحب نفسك» معتقداً أنه يساوي الآخر بنفسه أو يؤثره على نفسه. لكن هذا التوجه لا أساس له في الواقع، فالأخلاق مجرد أمر يساعد على البقاء والتكاثر. وأي معنًى يتجاوز هذا فهو مجرد وهم"[٢].

ويشرح هذه النظرة الداروينية **(هاريس)** قائلاً: "ومن أين تنبع مفاهيمنا عن الصواب والخطأ؟ حسناً من الواضح أنها قد طبعت فينا عبر التطور، فهي نتاج تلك الدوافع الفردية الملحة والأحاسيس الاجتماعية؛ وبعدها تعدلّت من خلال الثقافة. ولنأخذ الغيرة الجنسية كمثال؛ إن هذا السلوك مغروس فينا على مدى ملايين السنين، حسناً. لقد كان يطمع أسلافنا جدًّا بأزواج بعضهم بعضاً، رغم حقيقة أن الجميع كان مغطًّى الشعر، وله أسنان فظيعة، وأصبحت حالة التملك هذه مستقرة في أعراف ثقافية مختلفة كعرف الزواج. حسناً، لذلك فالعبارة التالية: «من الخطأ خيانة أحد لزوجه»، حسناً، تبدو أنها مجرد تراكم لهذه المصادفات. يبدو أنه أمر بدهي تقرره البيولوجيا، حسناً. يبدو أنه من وجهة نظر العلم، ليس خطأ في الواقع أن تخون زوجتك، حسناً. هذا الأمر يشبه تماماً ما يعتري القرود من القلق، ولكننا تعلمنا كيف نعبر عن القلق بالكلمات"[٣].

وقد ذكر **(لورانس كراوس)** [٤]وأجاب صراحة على سؤال وجهه إليه **(حمزة تزورتس)** [٥]: لماذا يعدُّ سفاح القربى أمراً خاطئاً؟

---

(١)فيلسوف ملحد، ولد سنة ١٩٤٠م، ويُعد فيلسوف العلم. انظر: الإلحاد بين قصورين، وليم لين كريغ، ص (٢٣).

(٢)الإلحاد بين قصورين، وليم لين كريغ، ص (٢٣ -٢٤).

(٣)الإلحاد بين قصورين، وليم لين كريغ، ص (٣٥-٣٦).

(٤)ولد سنة ١٩٥٤م، وهو عالم الفيزياء النظرية الملحد، وهو صديق ريتشارد دوكنز وشريكه في فيلم (غير المؤمنين). انظر: قطيع القطط الضالة، سامي زين، ص (٥٥).

(٥)هو داعية شاب بريطاني مسلم، اعتنق الإسلام سنة ٢٠٠٣م، وهو كاتب ومتحدث ومناظر في الفكر الإسلامي، وباحث ومحاضر بالأكاديمية العالمية للدراسات والبحوث الإسلامية، وفي عدة مؤسسات إسلامية أخرى. انظر: قطيع القطط الضالة، سامي زين، ص (١٠٢)؛ وصفحة الغلاف لكتاب الحقيقة الإلهية.

فأجاب بأن قال: "ليس واضحاً بالنسبة إليّ أنه أمر خاطئ"!، وحين علت أصوات الاستهجان في القاعة وتغير وجه من كان يدير المناظرة..

حاول **(كراوس)** أن يستدرك الأمر قائلاً: "معظم المجتمعات لديها محظورات فيما يخص زنا المحارم، وذلك أمر تجريبي، فعامة ينتج عن سفاح القربى تشوهات جينية. لذلك توجد بشكل عام أسباب فسيولوجية واجتماعية تحظر سفاح القربى".

ثم أضاف بتردد واضح جدًّا يصل إلى حد الارتباك: "لكن إن سألتني السؤال: هل هناك محاذير متأصلة في داخل كل المجتمعات في ما يخص سفاح القربى لذلك السبب لأن المجتمعات تريد أن تستمر.. لذلك هو مفيد... لكن إن سألتني بداهة.. على سبيل المثال: السؤال ...إذا.. أخ وأخت أحبَّ بعضُهما بعضًا واستخدما الواقيات الطبية..

هل هناك أمر لا أخلاقي بشكل مطلق في ذلك ؟ أنا.. أنا.. ثم.. بالمناسبة حدث ذلك مرة واحدة ثم افترقا ولم يتأثر أي أحد بما فعلاه؛ أنا قد أفكر في الأمر لأني لا أعتقد أن ذلك مُدان بشكل مطلق.. إذا أحبَّ بعضُهما بعضاً واهتم كل منهما لأمر الآخر ثم مضى كل منهما في حال سبيله ولم يتأثر شيء آخر بفعلهما"[١].

وقد صرّح الملحد **(بيتر سينغر)**[٢] في أحد الحوارات الجماعية المنشورة على اليوتيوب "بأنه لا يرى مشكلة في ممارسة الجنس مع الحيوانات، بشرط عدم انتهاك حق الحيوان"[٣].

ولو نظر القارئ الكريم في (منتدى التوحيد) إلى موضوع عنوانه: (فضائح إلحادية، وأخلاق داروينية إجرامية -متجدد-)، لوجد فيه العديد من التقريرات اللاأخلاقية والممارسات المنحرفة عند بعض هؤلاء الملاحدة[٤].

---

(١)في مناظرة جرت بينهما في ٢٠١٣م بعنوان: (الإسلام أم الإلحاد أيُّهما أكثر عقلانية؟) منشورة على اليوتيوب، نقلاً من قطيع القطط الضالة، سامي زين، ص (١٠٢-١٠٣).

(٢)ولد سنة ١٩٤٦م، وهو فيلسوف أسترالي، يعمل حاليًّا أستاذًا في جامعة برينستن الأمريكية ومحاضرًا في مركز الفلسفة التطبيقية والأخلاقيات العامة في جامعة ملبورن. انظر: (بيتر سنجر: على البشرية الآن أن تحذر من الحذر)، قراءات لأحمد شافعي، بتاريخ: ١٣ نوفمبر ٢٠١٤م، على الشبكة العنكبوتية.

(٣)المقطع عنوانه على اليوتيوب: الإلحاد وجماع الحيوانات، للملحد/ بيتر سينغر على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=٢pG٠١ASbgyM.

(٤)للباحث/ محمد الباحث، على الرابط: http://antishobhat.blogspot.com/٢٠١٢/١١/blog-post_٢٥٢٢.html.

يقول **(ريتشارد فيكار)**: "لقد نجح الإلحاد في قلب موازين الأخلاق رأساً على عقب، ووفر الأساس العلمي لكل المجرمين والقتلة لقناعة أنفسهم ومن تعاون معهم بأن أبشع الجرائم العالمية كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة"[١].

وهناك دراسة علمية درست العلاقة بين التفكير والسلوك علميًّا. تصف مقالة في مجلة (ساينتفك أمريكان) سلسلة دراسات نابغة مصممة لاختبار النتائج العملية لاعتناق فلسفة المذهب المادي ونتيجته اللازمة بأنْ ليس للبشر إرادة حرة. قّرر فريق من الباحثين المبادرين اختبار إن كان لمثل هذه الرؤية الاختزالية للإنسانية أي تأثير على السلوك الأخلاقي.

أعطت النتائج جواباً إيجابيًّا واضحاً. تضمنت إحدى التجارب اختباراً مصمماً بحيث يجعل الغش مُيسّراً. وُزّع بعض المشاركين عشوائيًّا على ما يسمى شرط الحتمية، طلب منهم أن يقرؤوا عبارات مثل: "إن الإيمان بالإرادة الحرّة يتعارض مع الحقيقة المعروفة بأن الكون محكوم بمبادئ العلم المشروعة". بينما وُزّع مشاركون آخرون عشوائيًّا على ما يسمى: شرط الإرادة الحرّة، قرؤوا عبارات مثل: "يتطلب تجنب الإغواء أن أجاهد إرادتي الحرّة".

من هي مجموعة المشاركين التي غشت أكثر في الاختبار؟

لقد كانت مجموعة الحتمية التي استُحِث مشاركوها على أن يعتقدوا أن ليس لهم المقدرة على الاختيار الأخلاقي، وبالتالي ليس لديهم مسؤوليات أخلاقية، وعلى العكس فإن مجموعة الإرادة الحرّة التي لُقّن مشتركوها أن يجاهدوا إرادتهم الأخلاقية كانت الأقل احتماليةً للغش.

تضمنت تجربة أخرى إدارة المال، ومرة ثانية كانت مجموعة الحتمية أكثر احتماليةً لسرقة المال. لخصت مجلة (ساينتفك أمريكان) التالي: "إن أحد الاكتشافات الصادمة لنشأتنا حديثاً في علم الإرادة الحرّة هو أنه عندما يؤمن الناس أو يرشدون إلى الإيمان بأن الإرادة الحرّة هي مجرد وهم، فإنهم يميلون لأن يصبحوا أكثر معاداة للمجتمع"[٢].

وهناك العديد من الدراسات الأكاديمية الاجتماعية التي تشير إلى أن الملاحدة هم الأقل أخلاقاً من أصحاب الأديان.

---

(١)نقلاً من الإلحاد يسمم كل شيء، هيثم طلعت، ص (٢٤١).

(٢)البحث عن الحقيقة، نانسي بيرسي، ص (١٠٧).

وكان منها "في عام ٢٠٠٢م أُجريت دراسة علمية (استعراض تحليلي لنتائج إحصائية عن العلاقة بين الدين والاكتئاب: دليل على وجود تأثيرات رئيسية وتأثيرات لتخفيف الضغط) بتحليل أكثر من ٢٠٠دراسة اجتماعية وجدوا أن زيادة التدين تتنبأ بانخفاض في مستوى الاكتئاب وانخفاض في نسبة تعاطي المخدرات وانخفاض في عدد محاولات الانتحار"(١).

وتشير استطلاعات الرأي باستمرار أن الملحدين من أقل الأقليات المؤتمنة بالولايات المتحدة، وحسب ما أفادت الدراسة التي أجرتها جامعة (مينيسوتا): أنه "يبدو أن نتائجنا تقوم على نظرة للملحدين مفادها أنهم أفراد لا يهتمون إلا بذواتهم، ولا يكترثون بالصالح العام"(٢).

وعلى صعيد العمل الخيري والإغاثي وجد في إحدى الإحصائيات أن معدل تبرع المسلم هو الأكثر، ثم اليهودي، ثم البروتستانتي، ثم الكاثوليكي، وأقلّهم الملحد(٣).

وفي دراسة أخرى وجد أن تبرعات الملاحدة في المعدل هي أقل من سبع تبرعات أهل الأديان، ومع هذا يدعي هؤلاء أنه لا حاجة للدين في تأسيس الأخلاق والإحسان للغير(٤)!

كما يخلُص (دليل اكسفورد لعلم اجتماع الدين) إلى أن المتدينين الأمريكان يتصدقون أكثر من اللادينيين: "أما فيما يتعلق بالأمريكان اللذين يتصدقون للمنظمات الخيرية، فقد وجد ارتباطاً بالتدين عن طريق تحليل بيانات من (استبيان الهوية الدينية والتأثير) لعام ١٩٩٦م. الـــ ١٣%من السكان الأمريكيين اللذين اعتبروا أنفسهم لا دينيين أعطوا مالاً أقل للمنظمات الخيرية من باقي السكان الذين كانوا يعتقدون معتقدات دينية) (٥).

كما يحيل (دليل اكسفورد لعلم اجتماع الدين) إلى بحث يشير إلى أن الأشخاص الملتزمين دينيًّا -مقارنة بغيرهم- أكثر احتمالاً أن يتسِموا بسمات الإنسانية والتعاطف. وأشار تحليل لنتائج استبانة أجريت على ٣٠٠ طالب بكالوريوس في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن (أفعال الإيثار) تزيد عند الأشخاص الملتزمين دينيًّا. ونشرت نتائج

(١)الحقيقة الإلهية، حمزة إندرياس تزورتزس، ص (٨٣).

(٢)الإنسانوية مقدمة قصيرة جدًّا، ستيفن لو، ص (٣٠-٣١).

(٣)انظر: الإنسانوية المستحيلة، إبراهيم الرماح، ص (١٩٤).

(٤)السابق.

(٥)الحقيقة الإلهية، حمزة إندرياس تزورتزس، ص (٨٣).

تشير إلى أن الأشخاص الذين قاموا بأعمال تطوعية في المملكة المتحدة قالوا بأن الدين هو أحد أهم الأسباب التي جعلتهم يتطوعون. ودراسة أخرى بحثت العلاقة بين التدين المسيحي/اليهودي والإلحاد، وبُنيت هذه الدراسة على بيانات تمّ جمعها بين عامي ١٩٧٨و١٩٧٩م وبين عامي ١٩٨٨و١٩٩٠م في خمس جامعات وكليات مختلفة في إنجلترا وأمريكا. ووجدت الدراسة أن التدين كان ظاهراً بشكل واضح في تعزيز التعاطف الإنساني، وأن تأثير عوامل أخرى اجتماعية وديمغرافية لم تظهر أي دلالة إحصائية(١).

هذه هي أخلاق أهل الإلحاد من خلال الدراسات والإحصائيات الحديثة، فعندما يفقد الإنسان الإيمان فهو يفقد معه كل شيء. وليس القصد هنا أن الملحد فقد الأخلاق على المستوى السلوكي بل سيفقد الأخلاق على المستوى الوجودي أي أنه سيفقد معنى الأخلاق.

وليس القصد هنا -بطبيعة الحال- اتهام كل فرد ملحد بأنه لا أخلاقي، كلًّا، بل هناك -بطبيعة الحال- من هم متمسكون بالأخلاق والقيم على المستوى الشخصي لكن بصورة نفعية مجردة كما قال -جلّ وعلا-: **(h g f e d c b i)** **[سورة آل عمران: ١٥٢]**.

(١) انظر: الحقيقة الإلهية، حمزة إندرياس تزورتزس، ص (٨٢).

الخاتمـــــــــة

في ختام هذا البحث أحمد المولى -تعالى- الذي يسر لي إتمامه، فله الحمد والشكر، فهو أهل الثناء والمجد، وأود أن أختم بحثي ببعض **النتائج** التي توصلت إليها، وهي:

(١) أن الاستدلال بالأخلاق والقيم على وجود الله -تعالى- هو من أهم الأدلة العقلية التي يحاجُّ بها المنكرين لوجوده -سبحانه-.

(٢) أن فطرية الأخلاق والقيم الإنسانية هي أساس مهم لمسألة الاستدلال العقلي على وجود الله بحالة الإنسان وما فيها من أمور ومعانٍ مركوزة في أعماق الفطر، فقد ولد الإنسان وفطرته تقتضي القيم والفضائل، ووجود هذه القيم الأخلاقية دال على وجود الخالق الذي اتصف بصفات الكمال.

(٣) أن الأخلاق موضوعية ومطلقة، فهي قيم موضوعية، بمعنى أنها غير ذاتية تتجاوز وجود الإنسان وتتجاوز الوجود المادي عموماً. وهي قيم مطلقة بمعنى أنها ليست نسبية، فلا تتشكل بتشكل الظروف ولا تتغير بتغير الأحوال، فوجود الله تعالى وارتباط وجودها به هو الأساس الموضوعي لتفسير وجودها في النفس البشرية.

(٤) أن الخطابات الإلحادية المعاصرة قد اضطربت في مواقفها في تفسير وجود الأخلاق، نتيجة فساد تصورها للكون وتفسيرها لأسباب نشأته، ولا يمكنها بناء وتأسيس القيم الأخلاقية مع إنكارها لوجود الله -سبحانه وتعالى- ربًّا خالقاً حكيماً عليماً.

(٥) أن تفسير وجود الاخلاق وإرجاع ذلك إلى أسباب مادية لدى الملاحدة القائلين بالعشوائية والصدفة يؤدي إلى الاضطراب والفساد الأخلاقي، فمع هذا التصور لا يمكن أن يكون هناك داعٍ للالتزام بالأخلاق النبيلة، ولا معنًى لأن يكون الإنسان ملتزماً بالفضائل ومجتنباً للرذائل.

(٦) أن تفسير وجود الأخلاق تفسيراً ماديًّا وإرجاع وجودها للمجتمع والأفراد يجعل الأخلاق نسبية ومتغيرة، فتصبح عرضة لتغيرات اجتماعية لا مفرّ منها.

(٧) أن الرؤية الإلحادية عندما تنكرت لوجود منظومة الأخلاق المتجاوزة، جعلت من الالتزام الأخلاقي مجرد حالة نفعية براغماتية، فليس الإلتزام راجعاً إلى

مسألة متجاوزة لوجود الإنسان بل هو مجرد أمر حاجي، يحتاج إليه لسدّ بعض الحاجات الاجتماعية.

(٨) أن تفسيرات الملاحدة لمسألة وجود الأخلاق وظهورها وأنها جاءت فقط كنتيجة لتغيرات بيولوجية غير واعية وغير عقلانية، هو بلا شك إسفاف وإسقاط عظيم للقيم الأخلاقية، يترتب عليه أنها ليست واجبات والتزامات يشعر الإنسان -ضرورةً- أنه واجب عليه أداؤها.

(٩) أن الدراسات والإحصائيات الحديثة تثبت أن الملاحدة هم أقل الناس تمسكاً بالأخلاق والقيم النبيلة، فعندما يفقد الإنسان الإيمان فهو يفقد معه كل شيء.

التوصيات:

(١) وأُوصي المتخصصين في علم العقيدة بضرورة متابعة شبهات الملاحدة والرد عليها، وبيان ما فيها من باطل وضلال في سلسلة أبحاث مستقلة.

(٢) ضرورة استخدام المسلك العقلي في الاستدلال على وجود الله، وبناء اليقين في نفوس النشء لا سيما في زمن انتشار الشبهات وتداول كلام أهل الإلحاد في الإعلام الحديث المفتوح.

وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع سنته إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

المراجـــع

القرآن الكريم.

(الله) في الفلسفة الحديثة. كولينز، جيمس. ترجمـــة: فـــؤاد كامـــل. ط٣، (د.م)، دار قبـــاء للطباعة، ١٩٩٨م.

الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد. العريفي، سعود بن عبـــد العزيـــز. ط١، (د. م)، تكوين للدراسات والأبحاث، ١٤٣٥هـــ.

آراء فلسفية في أزمة العصر (الوجودية الإلحادية). كوخ، آدريين. ترجمة: محمود محمـــود، (د.ط)، (د.م)، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٣م.

الإسلام بين الشرق والغرب. بيجوفيتش، علي عزت. ترجمة: محمد يوسف، ط٢، (د. م)، دار الشروق، ٢٠١٣م،

أصول الفلسفة الماركسية. بوليترز، جورج. ترجمة: شعبان بركات، (د.ط)، بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت).

الإلحاد بين قصورين. ترجمة: الحسن، مـــؤمن، وآخـــر، ط١، الريـــاض، مركـــز دلائـــل، ١٤٣٧هـــ.

الإلحاد فرضية في أزمة. بلقيس، أحمد محمد. ط١، (د.م)، تكـــوين للدراســـات والأبحـــاث، ١٤٣٩هـــ.

الإلحاد في الغرب. عوض، رمسيس. ط١، القاهرة، دار سينا للنشر، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ١٩٩٧م.

الإلحاد يسمم كل شيء. طلعت، هيثم. ط١، (د. م)، نيو بوك للنشر، ٢٠١٥م .

الإنسانوية (مقدمة قصيرة جدًا). لو، ستيفن. ترجمة: ضياء وراد، مراجعة: مصطفى محمـــد فؤاد، ط١، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٦م.

البحث عن الحقيقة خمسة مبادئ لكشف الإلحاد والعلمانية. بيرسي، نانسي. ترجمة: مركـــز دلائل، إشراف على الترجمة: آلاء حسكي، ط١، الرياض، مركز دلائل، ١٤٤٠هـــ.

تاريخ الفكر الأوروبي الحديث. سترومبرج، رونالد. ترجمة: أحمد شلبي، ط٣، بيـــروت، دار النفائس، ١٩٩٤م.

ثلاث رسائل في الإلحاد والعقل والإيمان. الشهري، عبد الله بن سعيد. (د.ط)، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٧ م.

جامع المسائل. ابن تيمية، الحراني. تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر عبد الله أبو زيد، ط١، مكة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٤هـ.

الحقيقة الإلهية (الله.. والإسلام.. وسراب الإلحاد). تزورتزس، حمزة إندرياس. ترجمة: نايف الملا، ط٢، الرياض، مركز دلائل، ١٤٣٩هـ.

درء تعارض العقل والنقل. ابن تيمية، الحراني. تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ.

دراسات معرفية في الحداثة الغربية. المسيري، عبد الوهاب. ط٢، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩م.

دواعي الإيمان في عصرنا. مارتنتي، جيوفاني. ترجمة: جورج المصري، ط١، (د. م)، دار المشرق، ١٩٩٧م.

رحلة عقل. الشريف، عمرو. وهو ترجمة كتاب **(هناك إله)**. لفلو، أنتوني. ط١، القاهرة، مكتبة الشروق، ٢٠١٠م.

الرد على المنطقيين. ابن تيمية، الحراني. تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، (د.ط)، لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).

سنن الترمذي. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد شاكر، ط١، بيروت، دار عمران، (د.ت).

سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية. عبد الرحمن، طه. ط١، الدار البيضاء - بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.

شرح العقيدة الأصفهانية. لابن تيمية. تقديم: حسنين مخلوف، (د.ط)، مصر، دار الكتب الحديثة، (د.ت).

شموع النهار (إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي). العجيري، عبد الله بن صالح. ط٢، (د.م)، تكوين للدراسات والأبحاث، ٢٠١٨م.

صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه). البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. ترقيم: مصطفى ديب البغا، ط٤، بيروت، دار اليمامة، ١٤١٠هـ.

صحيح الجامع. الألباني، محمد ناصر الدين. (د.ط)، (د.م)، المكتب الإسلامي، (د.ت).

صحيح سنن أبي داود. الألباني، محمد ناصر الدين. ط١، (د.م)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٩هـ.

صحيح مسلم. مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (د.م)، دار ابن حزم، ١٤١٦هـ.

ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث. العميري، سلطان بن عبد الرحمن. ط١، (د.م)، تكوين للدراسات والأبحاث، ١٤٣٨هـ.

العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة. المسيري، عبد الوهاب. ط٣، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٩م.

العودة إلى الإيمان. طلعت، هيثم. ط٢، (د.م)، مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل الإلحادية، ٢٠١٦م.

قصة الفلسفة. ديورانت، ول. ترجمة: فتح الله المشعشع، ط٦، بيروت، مكتبة المعارف، (د،ت).

قطيع القطط الضالة (بين تناقضات دوكينز ومغالطات هيتشينز). زين، سامي أحمد. ط٢ الرياض، مركز دلائل، ١٤٣٧هـ.

القيم الحضارية في الإسلام. الخطيب، محمد عبد الفتاح. ط١، القاهرة، دار البصائر، ١٤٣٢هـ.

مجمع الزوائد. الهيثمي. (د.ط)، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.

مجموع فتاوى ابن تيمية. ابن تيمية. جمع: عبد الرحمن بن قاسم. (د. ط)، الرياض، جامعة الإمام، ١٤١٨هـ.

مدارج السالكين. ابن القيم. تحقيق: محمد حامد الفقي. (د.ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت).

المدخل لدراسة النظم الإسلامية. سعيد، محمد رأفت. ط١، جدة، مطابع دار العلم، ١٤٢٥هـ.

المستدرك على الصحيحين. الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

مستعدون للمجاوبة. كيف تقدم إيمانك بعقل ودقة. كريغ، لوليم لين. تقديم الطبعة العربية: د. ماهر صموئيل، ط١، الأردن، مطبعة أوفير للطباعة والنشر، ٢٠١٧م.

مسند الإمام أحمد. ابن جنبل، أحمد بن محمد. (د.ط)، بيروت، دار صادر، ١٤١٦ه.

المشكلة الأخلاقيـــة. كريسون، أندريه. ترجمة: عبد الحليم محمود، ط٢، (د.م)، دار الرشـــاد، ٢٠٠٤م.

المشكلة الخلقية. إبراهيم، زكريا. (د.ط)، القاهرة، مكتبة مصر، (د.ت).

المعجم الفلسفي. صليبا، جميل. ط١، (د.م)، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٤م.

المعرفة في الإسلام .. مصادرها ومجالاتها. القرني، عبد الله بن محمد. ط١، مكة المكرمـــة، دار عالم الفوائد، ١٤١٩ه.

مفتاح دار السعادة. ابن القيم. (د.ط)، الرياض، دار نجد، ١٤٠٢هـــ.

موسوعة (لالاند) الفلسفية. لالاند، أندريه. تعريب: خليل أحمد خليل. ط١، (د.م)، منشورات عويدات، ٢٠٠٣م.

موسوعة الفلسفة. بدوي، عبد الرحمن. ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنـــشر، ١٩٨٤م.

الموسوعة الفلسفية. وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين. بإشراف: م. روزنتال، ب. يودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم، وجورج الطرابيشي. ط٢، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٦م.

موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. المسيري، عبد الوهاب. ط١، (د.م)، دار الشروق، ١٩٩٩م.

ميليشيا الإلحاد (مدخل لفهم الإلحاد الجديد). العجيري، عبد الله بن صالح. ط١، (د.م)، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، ١٤٣٥هـــ.

النفعية. ميل، جون ستيورات. ترجمة: سعاد حرار. ط١، لبنان، المنظمة العربيـــة للترجمـــة، ٢٠١٣م.

نيتشه. زكريا، فؤاد.(د.ط)، (د.م)، دار المعارف، (د.ت).

الوجودية مذهب إنساني. سارتر، جان بول. ترجمة: عبد المنعم حنفي. ط١، الدار المـــصرية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م.

وهم الإله. دوكنز، ريتشارد. ترجمة: بسام البغدادي. على الشبكة العنكبوتية.

مراجع الإنترنت:

الإسلام أم الإلحاد أيهما أكثر عقلانية؟. مناظرة بين لورنس كراوس وحمزة تزورتسيس. سنة ٢٠١٣م، منشورة على اليوتيوب.

الإلحاد بين الحقيقة والوهم (٦). تشارلز دوكينز والفرسان الأربعة: هيستيريا الإلحاد الجديد»، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٧م، موقع أمة واحدة على الشبكة العنكبوتية.

الإلحاد وجماع الحيوانات للملحد بيتر سينغر. على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=٢pG٠١ASbgyM على اليوتيوب:

بيتر سنجر: على البشرية الآن أن تحذر من الحذر. قراءات لأحمد شافعي. بتاريخ: ١٣ نوفمبر ٢٠١٤م، على الشبكة العنكبوتية.

فضائح إلحادية وأخلاق داروينية إجرامية (متجدد). للباحث محمد الباحث، منتدى التوحيد.

من هو العالم الفيزيائي ستيفن هوكينغ؟. تقرير لـ CNN العربية. بتاريخ: ١٤ مارس ٢٠١٨م على الشبكة العنكبوتية.

موسوعة المعرفة على الشبكة العنكبوتية (جاك مارتيان)، لسوسان الياس .

موسوعة ستانفورد الفلسفية، ترجمة: علي رضا. على الشبكة العنكبوتية (لودفيج فيتجنشتاين).